كان المؤتمر يبحث الممارسات الاسرائيلية في الاراضي المحتلة، مثلت الانباء الواردة عن اقالة مناحيم ميلسون لمجلس بلدية البيرة، تذكيرا صارخا بسياسات اسرائيل الالحاقية ومخططاتها. وفي هذا الاطار، اكد المؤتمر على:

١ ــ حق الفلسطينيين في العودة الى ديارهم في فلسطين التي اجبروا على مغادرتها بالقوة.

٢ ــ الحق في تقرير المصير من دون اي تدخل خارجي.

٣ ــ الحق في اقامة دولة مستقلة وذات سيادة في فلسطين.

٤ ــ الحق في وطن موحد ووحدة وطنية.

وقد اثارت احدى الكلمات بعض الملاحظات المتضاربة. وتلك كانت كلمة العلامة والناقد الباكستاني المعروف اقبال احمد. فصراحتها ولهجتها غير الديبلوماسية، في وسط العديد من الديبلوماسيين، كانت غير عادية ومنعشة؛ الامر الذي يستدعي ان نلخص هنا بعض النقاط التي اثارتها هذه الكلمة.

اولا ــ اعلن اقبال احمد ان الاعلام الغربي (الاميركي بصفة خاصة) يعرض القضايا العربية والفلسطينية بطريقة مشوهة، وان هذا الاعلام، اضافة الى ذلك، لم ينقل ولم يعرف بالابعاد الاخلاقية والانسانية للكفاح الفلسطيني، لكنه قال: ان مجرد القاء اللوم على الاعلام الاميركي، بسبب ازدواجيته، ليس كافيا. ومضى يقول: ان فشل السياسات العربية ليس ناتجا عن محدودية الاعلام العربي فحسب، وانما، وبالقدر نفسه، عن قيام المجتمع السياسي العربي بخنق مجتمعه المدني. وقدم المثال التالي على ذلك: في السنوات العشرين الماضية، لم تتح ست دول عربية على الاقل (لم تجر تسميتها لاسباب ديبلوماسية) لصحافي قدير ومحترم الفرصة ان يظهر، لماذا؟ لان المجتمع السياسي (اي الدولة) قد حال دون ازدهار المواهب العربية، بسبب الافتقار الى الممارسة الديمقراطية الحقيقية. فاذا كانت الاصوات العربية مخنوقة في مجتمعاتها نفسها، فكيف يتمكن العرب، في المقابل، من تقديم صورة اخلاقية وانسانية في الخارج، وفي الغرب بصفة خاصة؟

ثانيا ــ اعاد فشل السياسات العربية نحو الولايات المتحدة للاسباب انفة الذكر، اي ان العرب يخاطبون المجتمع السياسي الاميركي فقط، ويتجاهلون المجتمع المدني. وقال: ان الفيتناميين نجحوا في ايجاد صدع بين المجتمع السياسي والمجتمع المدني الاميركيين؛ مما مكنهم وساعدهم على تطوير حركة كبرى معادية للحرب، ساعدت على شل اجراءات الحكومة على الجبهة العسكرية.

ثالثا ــ يجب ان لا نهتم كثيرا بتقديم صورة انسانية او اخلاقية، خلال مخاطبتنا للولايات المتحدة. وهو يعتقد ان نجاح السياسات العربية يمكن الوصول اليه، فقط، اذا ما حصلت على ثمن سياسي واقتصادي. وهذا يتطلب من السياسات العربية انشاء علاقة واضحة جدا بين العوامل السياسية والعوامل الاقتصادية من جهة وبين الاهداف السياسية والديبلوماسية من جهة اخرى.

فعلى سبيل المثال: كلما اقدمت اسرائيل على ضم المزيد من الارض، تقدم الدول المصدرة للنفط بشكل جماعي، على تخفيض الانتاج وتخفيض التصدير للولايات المتحدة. وعندما تتم المفاوضات على صفقات بمليارات الدولارات، يجب على العرب ان يصروا على تفكيك المستعمرات الاسرائيلية في الاراضي المحتلة، اذا كان الطرف الاخر يرغب في اتمام الصفقة. بالاختصار يجب ان تقوم علاقة واضحة جدا بين القوة (العربية) والسياسات المرسومة، اذا ما اردنا الحصول على نتائج ملموسة.

ولعله في غنى عن القول: ان الديبلوماسيين، بطرقهم الديبلوماسية، رفضوا التعليق على ملاحظاته، ولكن عند انتهاء الجلسة، كانت هذه الملاحظات المحور الذي دارت عليه معظم الاحاديث.

هناك نقطة اخرى جديرة بالملاحظة، وهي غياب العديد من الوفود العربية عن العديد من الجلسات. بينما يؤكد، في هذا السياق، ان الوفد المصري كان حاضراً دائماً ونشطاً دائماً.

واخيرا، يمكن القول ان بعض الاوراق التي قدمت في هذا المؤتمر كانت جادة جدا، وعكست الكثير من الملاحظات الحاسمة.

نوبار هوفسبيان